

أ. فاطمة شحادة احميدي العمري

وزارة التربية والتعليم-المملكة الأردنية الهاشمية

Aspects of honoring the human kind in the Qur'an

Email
:ahmad_jradat73@yahoo.com
jradatahmad73@gmail.com
٠٥٨٠٧٥٦٦٩٨

ملخص البحث

ان التكريم شمل الانسان المؤمن والانسان الكافر ، فالإنسان المؤمن المتبع للشريعة: هو الذي حاز جميع أنواع التكريم: التكريم الدنيوي والأخروي، والانسان الكافر فإن كان له تكريم فإنما ذلك في أصل الخلقة الدالة على عظم الخالق –سبحانه وتعالى–، وإلا فجميع النعم التي أعطيت له في الدنيا، وكُرِّم التكريم العام عليها، فسوف يحاسب عليها، ويعذب وتصير عليه وبالاً وخسرانا مبيناً، والعياذ بالله.النعم العامة والخاصة –ومنها نعمة التكريم–مثبتة بجميع أنواعها للمؤمن العابد لربه –عز وجل–، المتبع شرع سيد الأولين والآخرين –صلى الله عليه وسلم اشتمل تكريم الانسان على ثلاثة الأولى: تكريم خاص من الله للإنسان حيث اختص الله –سبحانه–الإنسان بأن خلقه بيديه الشريفتين الصورة الثانية: تكريم الإنسان لنفسه ويكون ذلك بالعلم والمعرفة والتفكر والتأمل في نفسه وفي الكون،الصورة الثالثة: تكريم الإنسان لأخيه الإنسان. قال صلى الله عليه وسلم: (من قتل معاهداً لم ير رائحة الجنة، وإن ريحها توجد في مسيرة أربعين عاماً) (البخاري، باب اثم من قتل معاهدا، ٤ /٩٩، رقم (٣١٦٦)).

كلمات مفتاحية : تكريم ، نعم، الانسان،خلق، النوع

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله – صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرًا ، وبعد :

فإن مفهوم الانسانية في هذا الزمن اصبحت شغل الشاغلين وكلام الناس اجمعين، وكثر الاجتهاد فيها والمجتهدون، واختلفت طرقهم في الاستنباط، احتيج الى دراسات تبين جوانب التكريم للنوع الانساني في القرآن باعتبار آدميته، حيث حظي الإنسان بكثير من الاهتمام من القرآن ومن سنة الرسول الفعلية (بخاصة) حيث عاش الرسول جزءا كبيرا من فترة رسالته يبني هذا الإنسان.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في بيان جوانب التكريم للنوع الانساني في القرآن، (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) [الاسراء: آية ٧٠]على أن الإنسان بالرغم من كل هذه المكانة التي أعطاها له الله تعالى، ومن كل الأسلحة التي زوده بها –لن يستطيع الإسهام الصحيح في فعل إيجابي وخالد إلا إذا حافظ على عبوديته لله والالتزام بمنهجه: قال تعالى:(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ). [الطارق آية ٤:]فإذا ارتكس وسار في طريق الانحراف والضلال فإنه يهبط إلى أسفل سافلين قال تعالى:(ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) [الطارق آية ٥:]. ومن هنا ندرك أن من أبرز الواجبات علينا أن نقدم تقنينا سليما لعلاقة الإنسان بمبدع الكون، ثم نقدم تفسيرا لعلاقة الإنسان بالكون، ولعلاقته بأخيه الإنسان.

أهداف البحث:

١- بيان تكريم الله تعالى للانسان وأنسانيته.
٢- بيان طريقة القرآن الكريم ومنهجه في تكريم الانسان.
٣- بيان مظاهر تكريم الله للإنسان التي هي القوى والمواهب التي تجعله قادرا ليسود الارض، وليصل إلى أقصى ما قدر له من كمال مادي وارتقاء روحي.

حدود البحث:

سيكون حديثي في هذا البحث عن التكريم الرباني للنوع الانساني في ضوء قوله تعالى:(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وذلك من خلال بيان طريقة القرآن الكريم ومنهجه في تكريم الانسان وبيان جوانب التكريم للنوع الانساني في القرآن، من حيث هو إنسان بقطع النظر عن لونه، أو دينه، أو جنسه، أو وطنه، أو مركزه الاجتماعي.

منهجية البحث:

المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء أقوال المفسرين في تفسيرهم للآية الكريمة من كتبهم وتحليلها.

هيكلية الدراسة:

اقتضت طبيعة البحث أن يقسم الى تمهيد ومبحثين وخاتمة وفهارس.

التمهيد:

ويشتمل على أمرين ١–معنى التكريم ٢–تكريم الانسان من كرم الله

المبحث الاول: خصائص وأثار تكريم الله تعالى للإنسان:وتحتها اربعة مطالب المطلب الاول: شمولية التكريم للمؤمن والكافر:المطلب الثاني: اخطاء الانسان ونقائصه لا تهدر كرامته.المطلب الثالث: المساواة بين الرجل والمرأة في الكرامة الانسانية.المطلب الرابع: آثار تكريم الله تعالى للإنسان.المبحث الثاني: أوجه تكريم الله تعالى للانسان:المطلب الاول: تكريمه بتحسين خلقه.المطلب الثاني: تكريمه بالعقل.المطلب الثالث: تكريمه بالبيان.المطلب الرابع: تكريمه بالعلم.المطلب الخامس: تكريمه بالنعم الظاهرة والباطنة.المطلب السادس: تكريمه بارسال الرسل. المطلب السابع: تكريمه بالعباده والايمان.المطلب الثامن: تكريمه بتسخير سائر الخلق له.الخاتمة المصادر والمراجع

التمهيد:

منح الله الكرامة الإنسانية لبني آدم جميعا، دون تمييز عنصري أو قومي أو لون، فالكل يتمتع بالكرامة الإنسانية التي وهبها الله للآدميين، فليس لأي كان أن ينزعها، يقول تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا) [الإسراء: ٧٠]حيث تقررت هذه الكرامة الإنسانية للآدمي منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، وظهرت في وقت لم تعرف فيه المجتمعات غير الإسلامية فكرة الكرامة الإنسانية، ولم تكن تعترف بأي حق للمخالف في العرق أو اللون أو الدين، وظل ذلك فيها قرونا طويلة امتدت إلى بدايات العصر الحديث في أوروبا (د. نبيل السمالوطي ١٩٩٨م، ص :٣٢٧)فإذا تحدث القرآن عن كرامة الإنسان فإنه لا يذكره إلا بألقابه العامة التى تعبر عن إنسانيته أو آدميته، فيستهل تفاصيل تكريمه إما بلقب "بنى آدم" أو "الإنسان"، والله يقول: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا) [الإسراء: ٧٠ وما ذلك إلا ليدلَّ على أنه مكرَّمٌ من جهة خالقه لمجرَّد إنسانته فكيف إذا انضمَّ إلى هذه الإنسانية ما يزيدها رفعة وكرامة، إذ تسير على هدى حين كرَّمها؟ فما هي جوانب التكريم للنوع الانساني في القرآن التي منحها الله للآدميين؟ وما هو مبدأ وحدة الإنسانية الذي جاء الاسلام

المطلب الاول: مفهوم التكريم:

أولا :(الكَرَمُ) لغة، مُحَرَّكَةً ضِدُّ اللُّؤْمِ، يَكُونُ فِي الرَّجُلِ بِنَفسِه وَقيل: الكَرَمُ: مِثْلُ الحُرِّيَّةِ إلاَّ أَنَّ الحُرِّيَّةَ قد تُقَالُ فِي المَحَاسِنِ الصَّغِيرَةِ والكَبِيرَةِ، والكَرَمُ لا يُقَالُ إلا فِي المَحَاسِنِ الكَبِيرَةِ (الزَّبيدي (ب، ت)،٣٣ /٣٣٥، (باب كرم).وقيل: الإكرامُ والتَّكْرِيمُ: أَن يُوصَلَ إِلَى الإنْسَانِ بنَفْعٍ لَا تَلْحَقُه فِيهِ غَضَاضَةٌ، أَو يُوصَل إِلَيْهِ بشيءٍ شَرِيفٍ. (والكَرِيمُ: الصَّفُوحُ) عَن الذَّنْبِ. (الفيروزآبادى ، ٢٠٠٥ م، ١١٥٣ ، فصل الكاف)، وقيل الكُرَام، بِالضَّمِّ، مِثْلُ الكَرِيم فَإِذَا أَفْرَطَ فِي الْكَرَمِ قُلْتَ كُرَّام، بِالتَّشْدِيدِ، والتَّكْرِيمُ والإِكْرَام بِمَعْنًى، وَالِاسْمُ مِنْهُ الكَرَامَة ، وقَالَ الأَزهري: وَتَفْسِيرُ هَذَا، وَاللَّهُ أَعلم، أَنَّ الكَرَمَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ مِنْ صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ هُوَ مِنْ صِفَةِ مَنْ آمَنَ بِهِ وأَسلم لأَمره، وَهُوَ مَصْدَرٌ يُقَام مُقام الْمَوْصُوفِ فَيُقَالُ: رَجُلٌ كَرَمٌ وَرَجُلَانِ كَرَمٌ وَرِجَالٌ كَرَمٌ وامرأَة كَرَمٌ، لَا يُثَنَّى وَلَا يُجْمَعُ وَلَا يؤَنث لأَنه مَصْدَرٌ أُقيمَ مُقام الْمَنْعُوتِ، فَخَفَّفَتِ الْعَرَبُ الكَرْم، وَهُمْ يُرِيدُونَ كَرَم شَجَرَةِ الْعِنَبِ، لِمَا ذُلِّل مِنْ قُطوفه عِنْدَ اليَنْع وكَثُرَ مِنْ خَيْرِهِ فِي كُلِّ حَالٍ وأَنه لَا شَوْكَ فِيهِ يُؤْذي الْقَاطِفَ.(ابن منظور ، ١٤١٤ هـ، ٥٢١/١٢، ،فصل الكاف)والحقيقة أن الكرم هو : جماع لكل الصفات الحميدة، والكريم هو من اتصف بهذه الصفات وتلك المحامد اتصافا يجعلها ظاهرة فيه ظهورا جليا.والتكريم جعل الشيء المكرم كريما في ذاته وليس منعما عليه انعاما عاما بصفة من الصفات، او بمجموع من الصفات انما جعله في حد ذاته كريما، فكل شيء شُرف في بابه فقد كُرم والتكريم جعل الشيء كريما فعلا.وهي مصدر كرم وتاتي بمعنى العزة، واحترام المرء ذاته وهو شعور بالشرف والقيمة الشخصية مما يجعل الانسان يتأثر ويتألم إذا ما انتقص قدره (الحموي (ب، ت)٢/ ٥٣٢ باب كرم).

ثانيا: التكريم اصطلاحا: قال المفسرون في بيان معنى التكريم في الآية: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) (الاسرا ء: آية ٢١). كرمهم بالعقل والنطق وتسخير الأشياء، وتناول الطعام بالأيدي، وحملهم في البر والبحر على المراكب المختلفة. ورزقهم من الطيبات، أي من الزروع والثمار واللحوم والألبان والطعوم المشتهاة، والمناظر الحسنة، والألبسة المختلفة الأنواع والألوان، وفضلهم على سائر المخلوقات بسبب النعم المتقدمة. (الطبري، ٢٠٠٠م، ١٧ /٥٠١) قال ابن كثير: قوله تعالى :(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (الاسرا ء: آية ٢١)يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، كقوله تعالى "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم" أن يمشي قائما منتصبا على رجليه ويأكل بيديه؛ وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه، وجعل له سمعا وبصرا وفؤادا يفقه بذلك كله وينتفع به ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية. (الصابوني، ١٩٨١ م، ٢ /٣٨٩).ومن أجمع ما قيل في تفسير التكريم هنا ما ذكره الزمخشري في تفسيره: قال التكريم للانسان بما يلي: (كرّمه الله تعالى بالعقل، والنطق، والتمييز ، والخط، والصورة الحسنة والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد) (الزمخشري، ١٤٠٧ هـ، ٢ /٦٨٠). حيث تضمن بيان معنى التكريم في قوله تعالى: (ولقد كرّمنا بني آدم..) سبعة أوجه:أحدها: يعني كرمناهم بإنعامنا عليهم.

الثاني: كرمناهم بأن جعلنا لهم عقولاً وتمييزاً.

الثالث: بأن جعلنا منهم خير أمة أخرجت للناس.

الرابع: بأن يأكلوا ما يتناولونه من الطعام والشراب بأيديهم، وغيرهم يتناوله بفمه.

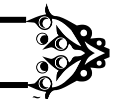
الخامس: كرمناهم بالأمر والنهي.

السادس: كرمناهم بالكلام والخط.

السابع: كرمناهم بأن سخّرنا جميع الخلق لهم. (الماوردي، (ب،ت) ٣ /٢٥٧).

المطلب الثاني: تكريم الانسان من كرم الله تعالى.

اشار الامام الرازي الى معنى جميل في بيان معنى تكريم الانسان من كرم الله تعالى، حيث قال: أن من تمام كرامته على الله تعالى أنه تعالى لما خلقه في أول الأمر وصف نفسه بأنه أكرم فقال:(اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم) (العلق: آية ١-٤). ووصف نفسه بالتكريم عند تربيته للإنسان فقال: ولقد كرمنا بني آدم ووصف نفسه بالكرم في آخر أحوال الإنسان فقال:(يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) (الانفطار: آية ٢)، وهذا يدل على أنه لا نهاية لكرم الله تعالى ولفضله وإحسانه مع الإنسان. (الرازي، ١٤٢٠هـ، ٢١ / ٣٧٤)فالله تعالى أفاض من كرمه على هذا الإنسان فجعله مكرما، مكرم الأصل، ومكرم الفرع، فقال عز وجل: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (الاسراء، آية ٧٠ والكرم كما أشرنا جماع الخير كله، فالكرم ضد اللؤم. وجماع الصفات الحميدة كلها، والكريم هو المتصف بتلك المحامد اتصافا يجعلها ظاهرة فيه ظهورا جليا، هكذا يحدد أهل اللغة الكرم. فهو ضد اللئيم، والتكريم جعل الشيء المكرم كريما في ذاته ليس منعما عليه إنعاما عاما بصفة من الصفات أو بمجموع من الصفات، ولكنه جعله في حد ذاته كريما أي نفيسا. فكل شيء شُرف في بابه فقد كُرم، والتكريم جعل الشيء كريما فعلا.فالله عز وجل حين قال: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) خاطب "الإنسانية" بتعبير اليوم، و"بني آدم" بتعبير القرآن، فأفاد أمرين: أفاد تكريما لهؤلاء الذين تناسلوا من آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، ذكورا كانوا أم إناثا، وأفاد أن من تكريمهم أيضا أنهم قد تناسلوا من آدم، وآدم قد كرم قبل في الانطلاق، في انطلاق الإنسانية منه، وذلك ما جاء على لسان إبليس نعوذ بالله منه حين قال: (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً)(الاسراء،آية :٦٢) ، فقوله :(هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ). إشارة إلى آدم عليه السلام حين أمر الله عز وجل الملائكة أن يسجدوا له. فآدم بنص هذه الآية قد كرم أيضا، وبنص الآية الثانية كُرمت ذريته، ومن تكريم ذريته إشعارهم وتذكيرهم بأنهم أبناء آدم من خلال ما سبق نجد تحديد المقصود من الكرامة الإلهية الممنوحة للإنسان في الآية الشريفة، يقع الكلام في أن هذه الكرامة (تكريم الله للانسان بالعقل، والنطق، والتمييز، والخط، والصورة الحسنة والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد)، (الكشاف، ١٤٠٧ هـ، ٢ /٦٨٠).ولكن هل يمكن عدها أصلاً موضوعياً تشريعياً فيجعل ميزاناً في القبول بحكم من الأحكام المستنبطة من الأدلة المقررة أم لا؟ بحيث يقال: إن أي دليل دل على حكم شرعي ما، لا يلتزم بمؤداه ما لم يكن متوافقاً ومبدأ الكرامة الإنسانية، وأما إذا كان مخالفاً وإياها، فإنه سوف يعرض عنه، ولا يرتب عليه أثراً. ويكون هذا نظير قاعدة لا ضرر ولا ضرار في الإسلام، فإن مفاد الحديث النبوي المشهور، وبالتالي نفي كل حكم ضرري في الإسلام، وعليه لو وجدنا حكماً ضررياً، فإنه يقال مباشرة بعدم تشريعه، لأن الشرع الشريف قد أعطى قاعدة مفادها نفي كل حكم ضرري، وهكذا أيضاً نفي ما يوجب الحرج والعسر، وغير ذلك.حيث جاء حصر دلالة الآية الشريفة في مقام بيان البعد التشريعي، وعدم قصرها في الدلالة على الحكم التكويني، وهذا يعني أنه لو بني حصر دلالتها على البعد التكويني فقط، فلن تكون مفيدة في بيان البعد التشريعي.حيث جاءت الاشارة بالآية في بيان حال لعامة البشر مع التغاضي عما يختص به بعضهم من الكرامة الخاصة الإلهية، والقرب والفضيلة الروحية المحضة، فالكلام يعم المشركين والكفار والفساق وإلا لم يتم معنى الامتنان والعتاب. لأنه قد تضمن أن الكرامة الواردة في الآية المباركة لا تقبل التجزؤ، وليست مختصة بأحد دون أحد، وأن المنظور فيها هو البعد الإنساني الذي يتوفر في كافة البشر كما لا يخفى.وكم هو معلوم فقد اتفق الفقهاء على وجوب تكريم الآدمي باعتباره إنسانا، بصرف النظر عما يتصف به من ذكورة وأنوثة، ومن إسلام وكفر، ومن صغر وكبر، وذلك عملا بقول الله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم)أما بالنظر إليه موصوفا بصفة ما فإنه يتعلق به مع الحكم العام أحكام أخرى تتصل بهذه الصفة. فإن مجموعة الأحكام التي اشتمل عليها القرآن في تنظيم الجماعة الإسلامية، وإقامة بنيانها، تتجه إلى تكوين نظام عام تحمي فيه الأنفس والأديان والأنساب والعقول، وتكوين مجتمعا صالحاً يحتذي به في المعاملات الإنسانية، واقامة علاقته بغيره على أسس من التعارف الإنساني وتكريم الإنسانية، في كل إنسان سواء أكان عدواً أم كان ولياً.فنظام القرآن العام يقرر تلك الكرامة الإنسانية في داخل الدولة الإسلامية، ويقررها في كل العلاقات الإنسانية

ليكون التآخي العام ويكون تنازع البقاء تحت ظل الفضيلة والتقوى لا تحت ظل الغابات والأحكام التي يحكم فيها بقانون الغاب. وعليه سنشير في مبحثين اثنين لمظاهر تكريم الاسلام للإنسان.

المبحث الاول: خصائص وأثار تكريم الله للإنسان. وفيه مطالب:

المطلب الاول: شمولية التكريم للمؤمن والكافر.

قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً). (الاسراء، آية :٧٠)اختلف المفسرين في قوله (بَنِي آدَمَ)فقيل المراد من قوله: (بَنِي آدَمَ) هنا المؤمنون لأنه قال فى صفة الكفار: (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ) (الحج، آية :١٨ حيث جاء هذا اللفظ للعموم، والمراد منه الخصوص، وهم المؤمنون، وبذلك يفضل قوم على الباقين، ففضّل أولياءه على كثير ممن لم يبلغوا استحقاق الولاية. ويقال فضّلهم بألّا ينظروا إلى نفوسهم بعين الاستقرار، وأن ينظروا إلى أعمالهم بعين الاستصغار .والتكريم التكثير من الإكرام، فإذا حرم الكافر الإكرام. فمتى يكون له التكريم؟ونقل عنهم قولا آخر فقال قيل إنما قال: «كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ» ولم يقل المؤمنين أو العابدين أو أصحاب الاجتهاد، توضيحا بأن التكريم لا يكون مقابل فعل، أو معلّلا بعلة، أو مسببا باستحقاق يوجب ذلك التكريم. وقد اجاب ابو الفرج الجوزي على ذلك فقال كيف أطلق ذكر الكرامة على الكل، وفيهم الكافر المُهان؟ فالجواب من وجهين:أحدهما: أنه عامل الكل معاملة المكرَم بالنعم الوافرة. والثاني: أنه لما كان فيهم من هو بهذه الصفة، أجرى الصِّفة على جماعتهم (أبو الفرج الجوزي، ١٤٢٢ هـ، ٣ /٣٩)، كقوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ).والحقيقة ان الآية فيها جانبين يمكن الاشارة اليهما: فالآية اشارت اليه بقوله: ولقد كرمنا بني آدم وهو أول جانب من جوانب طبيعة الإنسان، وهو أصل الانسان الذي خلقه الله من تراب. فقد خلق الله الناس جميعا أميرهم وغنيهم وفقيرهم، وأسودهم وأبيضهم وطويلهم وقصيرهم وقويهم وضعيفهم وذكرهم وأنثاهم ومؤمنهم وكافرهم، من تراب. قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ). (الروم، آية: ٢٠). وأطوار خلق هؤلاء جميعا واحدة، لا تبديل فيها ولا اختلاف.

الجانب الثاني: من جوانب طبيعة الإنسان أن الله سبحانه وتعالى قد كرمه على سائر المخلوقات، وخلقه في أحسن تقويم. ومن دلائل تكريم الله للإنسان أن جعل الملائكة تسجد له: قال تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ). ومن دلائل تكريم الله للإنسان أن خصه باللسان والبيان: قال تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ، وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ). (البلد، آية ٨-١٠). وقال تعالى: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ). (الرحمن آية :٣-٤). ومن دلائل تكريم الله للإنسان أن استخلفه في الأرض استخلافًا عاما يشمل الأرض كلها، بما فيها من أحياء وجوامد على سطحها وما في بطنها. وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) (فاطر، آية :٣٩). ومن دلائل تكريم الله للإنسان أن سخر له جميع ما في الأرض وما في السموات.قال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)، (إبراهيم، آية :٣٣).فالآية نصّ على منح الكرامة من الله تعالى لعموم بني آدم مسلمهم وكافرهم. يقول الالوسي : والآية الكريمة صريحة واضحة في شمولية تكريم الله لبني البشر جميعا، وهذا ما أكده بعض المفسرين للآية الكريمة (الألوسي، ١٤١٥ هـ،٨ / ١١٢)، وهذه الشمولية في التكريم جعلت ل مفهوم الانسانية في الإسلام خصائص ومميزات خاصَّة، وهذا ما قَرَّرَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع، التي كانت بمنزلة تقرير شامل لحقوق الإنسان، حين قال صلى الله عليه وسلم: "... فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ"(البخاري ، ١٤٢٢هـ، باب خطبة منى ،٢ /١٧٦ رقم الحديث (١٧٤١). حيث أكَّدت هذه الخطبة النبويَّة جملة من الحقوق؛ أهمُّها: حرمة الدماء، والأموال، والأعراض. وغيرها، فجاءت كلمة النفس عامَّة لتشمل أيَّ نَفْسٍ تُقتل دون وجه حقٍّ، وعقد الذمة يسهم إسهاماً فعالاً في توسيع دائرة التعاون والتعامل بين المسلمين وغيرهم، لأنه يتيح للفريقين الاختلاف والتقارب والتواصل، وبالتالي: يرسخ مبدأ الإخاء الإنساني بينهما والذمة معناها: العهد والأمانة والكفالة والحق والحرمة، ويطلق على من يعقد معهم هذا العقد من غير المسلمين (أهل الذمة) أو (الذميين) لأن لهم بناء على هذا العقد . عهداً بأن يعيشوا في كنف المجتمع الإسلامي آمنين مطمئنين. (السديري، ١٤٢٥هـ، ص: ١٢٤).فقد كفل الإسلام لهم حقوقاً متعددة، منها حماية دمائهم وأعراضهم وأموالهم وكرامتهم، وحريتهم في ممارسة شعائرهم الدينية وشؤونهم المعيشية، وحقهم في تولي الوظائف والمناصب العامة إلا ما غلب عليه الوصف الديني كالإمامة وقيادة الجيش والقضاء، وغير ذلك من الوظائف التي لها صبغة دينية، وحقهم في كفالة الدولة لهم عند العجز والمرض والفقر، وحقهم في مقاضاة المسلم أياً كان وضعه في المجتمع.والأصل في هذه الحقوق قوله صلى الله عليه وسلم: (من قتل معاهداً لم ير رائحة الجنة، وإن ريحها توجد في مسيرة أربعين عاماً) (البخاري، باب اثم من قتل معاهدا، ٤ /٩٩، رقم :(٣١٦٦)،وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أوصى الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، أن يوفي لهم بعهدهم،



وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفون فوق طاقتهم). (البخاري، ٢ /١٠٣، رقم :(١٣٩٢).وجاء في عهده رضي الله عنه إلى أهل بيت المقدس: (هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينقص منها، ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم) .(الهندي ، ١٤٠٧هـ، باب ألف معاهدة مع أهل بيت المقدس ،٤٨٨/١، رقم(٣٥٧). فالناس جميعاً في المنظور القرآني ينتسبون إلى أصل واحد، لا فضل لجنس على جنس ولا لشعب على شعب، ولا لأمة على أمة في أصل الخلقة والنشأة فالكل في أصل الإنسانية سواء، والتكريم الإلهي للإنسان يشمل بني آدم جميعاً، واختلاف الألسنة والألوان والأجناس والشعوب آية من آيات الخالق الدالة على إبداعه وقدرته قال تعالى: (وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لايَاتٍ لِلْعَالِمِينَ)(الروم ،آية :٢٢) لذلك ينبغي أن يكون هذا الاختلاف مثار تعارف لا تناكر، وائتلاف لا اختلاف. قال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)(الحجرات ،آية :١٣).ولا ريب أن الإخاء يزداد قوة وتوثيقاً إذا اجتمع مع العنصر الإنساني العنصر الإيماني لأن المؤمنين جميعاً أخوة: قال تعالى:(إنما المؤمنون أخوة) (الحجرات، آية ١٠) فإذا انتفى العنصر الإيماني فإن العنصر الإنساني يظل أساساً للإخاء بين جميع الناس، ولهذا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم لجنازة يهودي مرت به، فلما قيل له: إنها جنازة يهودي، قال: (أليست نفساً).(البخاري ، باب من قام لجنازة يهودي، ٢ /٨٥، رقم الحديث (١٣١٢).وآيات القتال في القرآن الكريم تضمنت ذكر السبب في تشريعه، وهو يرجع إلى أمرين.أحدها: دفع العدوان.والثاني: قطع الفتنة وحماية الدعة. (ابن مبروك الأحمدي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ١ /٩٦). لذلك رأينا الرسول صلى الله عليه وسلم يعقد معاهدة سلام بينه وبين اليهود بعد قدومه إلى المدينة، كما عقد مع مشركي قريش معاهدة الحديبية بعد أن قال: (والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها) (البخاري ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط،٣ /١٩٣، رقم : (٢٧٣١)وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والذمي ونحوهم فلا يقتل عند جمهور العلماء، إلا أن يقاتل بقول أو بفعله، وإن كان بعضهم يرى إباحة قتل الجميع لمجرد الكفر إلا النساء والصبيان لكونهم ما لا للمسلمين والأول هو الصواب، لأن القتال هو لمن يقاتلنا) (ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٥٤/٢٨)فكانت سيرته صلى الله عليه وسلم أن كل من هادنه من الكفار لم يقاتله.فاباحة التعاون والتعامل بين المسلمين وغيرهم في القرآن الكريم. جاء ليرسخ مبدأ الإخاء الإنساني بإباحة التعاون والتعامل بين المسلمين وغيرهم، ولتصل الإباحة إلى درجة الاستحباب عند الحاجة، وإلى درجة الوجوب عند الاضطرارقال تعالى:(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا). (الحجرات، آية ١٣)ولا شك أن التعارف لا يمكن أن يصل إلى الدرجة الكاملة الاإذا تبعه تعاون وتعامل.وقال تعالى:(الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آَتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ). (المائدة، آية :٥).ومن البديهي أن أكل طعام أهل الكتاب والتزوج بنسائهم لا يمكن وضعها في حيز التنفيذ إلا إذا كان هناك تعاون وتعامل بينهم وبين المسلمين، وهما في نفس الوقت وسيلة من الوسائل التي توسع دائرة التعاون بين المسلمين وغيرهم.

المطلب الثاني: اخطاء الانسان ونقائصه لا تهدر كرامته ولا تلغي مكانته.

ان من تكريم لله تعالى للانسان أن اخطاء الانسان ونقائصه لا تهدر كرامته ولا تلغي مكانته. (القشيري، ٢ /٣٦٠). قال تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً). (النساء، آية :١١٠)وقال تعالى بعد معصية آدم ربه: قالا: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ .(البقرة ، آية :٣٧)اعترفا بذنبهما وتابا.يقول الزجاج:(وفي هذه الآية موعظة لولدهما، وتعريفهم كيف السبيل إلى التنَصُّلِ من الذُّنُوب، وأنه لا ينفع إلا الاعترافُ والتوبةُ، لأن ترك الاعتراف بما حرّم اللَّه-عزَّ وجلَّ -حَرَامٌ وكُفْرٌ باللَّه فلا بد من الاعتراف مع التوبة، فينبغي أن يفهم هذا المعنى فإنه من أعظم ما يحتاج إليه من الفوائد. (الزجاج ، ١٩٨٨ م ،ج١ ص ١١٦) وهذا ما عرضه الله تعالى علينا في معصية ابليس ومعصية آدم بين صورتين متشابهتين في البداية متعارضتين في النِّهاية، هما صورتا آدم المذنب، وإبليس المتمرِّد. فاشتركت الصورتان في أنَّهما تمثِّلان مخالفة لأمر الله تعالى، إلا أنَّ الأولى انتهت باعتراف آدم بذنبه وطلبه الصَّفح والغفران من الله تعالى، بينما انتهت الثانية بإصرار إبليس على ذنبه وتماديه في غيّه، ولذا فقد نال آدم العفو والمغفرة من الله الغفور الرحيم، واستحقَّ إبليس الوعيد والعقاب من الله الشديد العقاب، وهكذا فالبشر جميعاً لهم مطلق الاختيار لأحد النموذجين في سلوكهم في هذه الحياة ولاشكَّ أنه سينال الجزاء الَّذي يتناسب مع اختياره.حيث جاء في توبة آدم قوله تعالى: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ) (البقرة، آية ٣٧). يقول ابن عاشور: (والتلقي استقبال إكرام ومسرة). (ابن عاشور، ١٩٨٤ هـ ،١/ ٤٣٧)وقرأها إبن عباس (فتلقى أدمَ) فما وجه الاختلاف؟ هذه القراءة بالنصب

(فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ) الكلمات فاعل (العكبري، (ب، ت) ١ /٥٤)قيل القراءة بالنصب فيها تكريم لآدم آخر تلقته الكلمات كما يُتلقى الساقط إلى الأرض لئلا يهلك، تلقته الكلمات ليتوب.يقول الالوسي (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ المراد- بتلقي- الكلمات استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها، فهو مستعار من استقبال الناس بعض الأحبة- إذا قدم بعد طول الغيبة- لأنهم لا يدعون شيئا من الإكرام إلا فعلوه، وإكرام الكلمات الواردة من الحضرة الأخذ والقبول والعمل بها، وفي التعبير- بالتلقي- إيماء إلى أن آدم عليه السلام كان في ذلك الوقت في مقام البعد ومِنْ رَبِّهِ حال من كَلِماتٍ مقدم عليها، وقيل: متعلق ب فَتَلَقَّى وهي من تلقاه منه بمعنى تلقنه، ولولا خلوّه عما في الأول من اللطافة لتلقيناه بالقبول، وقال نقلا عن ابن كثير بنصب آدَمُ ورفع كَلِماتٍ على معنى- استقبلته- فكأنها مكرمة له لكونها سبب العفو عنه.(الألوسي ، (ب،ت)١ / ٢٣٨)،والذي قرأ به ابن كثير جائز في العربية، لأن ما تلقيتَه فقد تلقاك. (الازهري، ١٩٩١ م ،١ /١٤٨)، والحق أنه من تواضع لله رفعه، ومن تكبَّر عليه وضعه.وإن الله عزَّ وجل يقبل التَّوبة من عباده المنيبين إليه، ويحفُّهم برحمته إن كانوا صادقين في الرجوع إلى بابه، ملتزمين بآداب التوبة بين يديه فإنسانية الإنسان تظهر بحياة روحه ونشاطها لا بحياة بدنه وعنفوانها، وتذبل إنسانية الإنسان بذبول حياة الروح وتموت بموتها، وحياة الروح في الدين وترك المعصية، فمن كان على دينٍ قويم والتزام بدينه حيت روحه حياةً طيبة، وزكت ونمت نماءً كريماً، وغزرت إنسانيته، وتدفق عنه الخير، وطفحت حياته بالصلاح، ومن لم يكن كذلك أصاب حياة روحه العطب والخمول، ودخلها الفساد فانتكست إنسانيته، وسقطت عن مستواها، ورشح عنه شرٌ كثير، وأوبأ جو الحياة،فالمعاصي سبب كل عناء، وطرق كل شقاء، فهي تدمر المجتمعات، وتزيل النعم، وتؤدي إلى الفساد فما أهلك الله أمة إلا بذنب، ولا يفوز فيها إلا من أطاع الله سبحانه وتعالى، فالإنسان يقع في المعصية إما حباً وشغفاً بها، فيقبل عليها، وإما أن يقبل على المعصية، وبعد أن ينتهي منها يلتهب فؤاده ندماً، فيحتقر نفسه، ويطرق باب الله طالباً المغفرة فتبقى كرامته، من هنا لا تكون كرامة لمن يعصي ربه، ويخالف عن أمره، ويسعى في الأرض بالفساد، مصداقا لقوله تعالى: (ومن يهن الله فماله من مكرم)(الحج ،آية ٦٢).أي لا كرامة له عند الله،ومن هنا كان مفهوم الكرامة في الإسلام يرتبط بالتوبة من المعصية والعوده الى الله والتزام شرعه

المطلب الثالث: المساواة بين الرجل والمرأة:

كان من بين الحقوق الأساسية التي شرعها الإسلام، وقررها للناس، وأوجب تطبيقها والعمل بها، حق المساواة الذي يعتبر في شريعة الإسلام أساسا لعلاقات الناس فيما بينهم، ومظهرا من مظاهر العدالة الاجتماعية، وركيزة لكرامة الشخص، واعتبار قيمته الإنسانية وقد اعتبر الإسلام مبدأ المساواة عقيدة أساسية يجب أن يدين بها المسلم، وأن يحرص عليها ويتصف بها، ويطبقها في حياته كلها، وجعل ذلك أساسا ومبدأ تقوم عليه حياة الناس، فقال في القرآن الكريم: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير). (الحجرات، آية :١٣). فالناس جميعا منحدرون من أب واحد، وأم واحدة، وأن تقسيمهم كذلك ليتعارفوا ويتمازجوا ويحب بعضهم بعضا وليتكاملوا لصالح الجماعة كلها والبشرية كلهاوهذا الإنسان الذي خلقه الله وكرمه، وميزه على سائر مخلوقاته، هوالإنسان الذي علمه الأسماء كلها واستخلفه في الأرض، وهو الإنسان الذي أقامه على قدمين ووهبه البيان هو الإنسان من الجنسين: الإنسان الذكر والإنسان الأنثى، خلقهما الله من نفس واحدة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا). (النساء، آية :١)، وهم متكاملون بعضهم من بعض، ولا فضل لأي منهما على غيره، بل الفضل في ذلك للخالق. (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض...) (آل عمران، آية :٦٥)، فليس بينهم فرق في جوهر الطبيعة أو في الأصل، وهم جميعا مسؤولون ومثابون أو معاقبون. قال تعالى: (وَلَهُنّ مِثْلُ الّذِي عَلَيْهِنّ بِالْمَعْرُوفِ) (البقرة ، آية :٢٢٨).وقال سبحانه: (إنّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصّادِقِينَ وَالصّادِقَاتِ وَالصّابِرِينَ وَالصّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدّقِينَ وَالْمُتَصَدّقَاتِ والصّائِمِينَ والصّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذّاكِرِينَ اللّهَ كَثِيراً وَالذّاكِرَاتِ أَعَدّ اللّهُ لَهُم مّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)(الأحزاب ، آية :٣٥) فالمرأة في الإسلام مخلوق كريم نالت أعظم منزلة لها. فقد كرمها الإسلام تكريما كبيرا في جميع مراحل عمرها. فأكرمها طفلة صغيرة، بل أمر الرجل بأن يحسن اختيار الزوجة لتنشأ البنت وتتربى في أحضانها أزكى تربية، وطالبه بحسن تسميتها، ورحمتها وإكرامها، وأوجب تربيتها التربية الحسنة وأكد على أهمية ذلك.ثم جعل لها حقها أختا فاضلة يتشرف الرجل برعايتها. وأكرمها عندما تكون زوجة فجعل لها من الحقوق مثل الذي عليها ، قال – تعالى –: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ)(البقرة ، آية :٢٢٨) أما عندما تصبح أما فإنها تنال أعظم المكانة بأن قرن حقها في الإحسان بحق الله – تعالى –في توحيده، قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً). (البقرة ، آية :٢٩) إنه دين عظيم أعطى المرأة حقوقها، وطالبها بأداء الحق الذي عليها، من عبادة لله وحده، وأداء لحق الأسرة بدءً بالزوج وانتهاءً بأبنائها.

المطلب الرابع: أثار تكريم الله تعالى للإنسان.

تمثلت آثار تكريم الله تعالى للإنسان من خلال عدة جوانب:

١–إن أول سورة نزلت من سور القرآن الكريم كانت تحمل من معاني التكريم الإنساني والاهتمام بشأنه، وتلمح إلى آثار تكريم الله سبحانه لهذا الإنسان، إذ بمحض الكرم وجد، وبخالص الجود والعطاء اهتدى ورشد، كما تشير هذه السورة التي بدأت بها الرسالة المحمدية إلى سبق العناية الإلهية بهذا الإنسان على سائر المخلوقات، فجعله مهذبا، له قابلية للعلم والفهم.(اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق لإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم) (العلق، آية:١–٧).

٢–من آثار التكريم الالهي للإنسان انطلقت مفهوم الانسانية في الإسلام وقد صرح الخالق العظيم سبحانه بهذا التكريم. فقال تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) (الاسراء،آية ٧٠:). ومحل هذه الآية بين ما سبق وما لحق من الآيات حيث يدل على أن تسخير هذا الكون من الله سبحانه للإنسان من بحر وبر، ومع تكريم الله يجب أن يقترن بطاعته والاعتراف بوحدانيته ليكون مهتديا في الدنيا والآخرة. كما حمل الآية نوعا من الترغيب في تقدير النعمة وشكرها، وجاء هذا الترغيب بين ترهيبين.

٤– أنَّ تكريم عموم بني آدَم يقتضي بأنْ تكريمة، سواء في حال الحياة أو حال الموت، وسواء كان مسلمًا أم كافرًا.

٥– إنّ منزلة التكريم تحددها تقوى الإنسان، وقبوله هداية الرسل، ومنهج الوحي، وفي ذلك يقول الله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) (التين، آية :٤–٦).

٦– إن ميزان التكريم يعتمد على الارتباط العقائدي للإنسان، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)،(الحجرات ، آية :١٣)ومن هذا الاعتقاد، تنطق مفهوم الانسانية كأثر من آثار التكريم، فالإسلام يرى أنّ الإنسان مكرم لتكريم الله تعالى له، ومنحه إياه ذلك، ويرتبط التكريم بعبودية الإنسان لربه، فالتكريم في الإسلام حين ينطلق من كونه منحة ترتبط بالعبودية، ويعني هذا أنّ هناك أحوالاً يرتكس فيها الإنسان، ويتجرد فيها من ذلك التكريم، بكفره وبعده عن المنهج الشرعي الحق، الذي تزدان به إنسانيته.

المبحث الثاني: أوجه تكريم الله تعالى للإنسان.

تعددت أقوال المفسرين في المراد بهذا (التكريم)، فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: كرمهم سبحانه بالعقل. وعن الضحاك بالنطق، وعن عطاء بتعديل القامة وامتدادها، وعن زيد بن أسلم بالمطاعم والملذات، وعن يمان بحُسن الصورة، وقيل بالتسلط على غيرهم من الخلق وتسخيرهم لهم، (الثعلبي، ٣ / ٣٣٤)قال الآلوسي: "والكل في الحقيقة على سبيل التمثيل؛ ومن ادعى الحصر في واحد،فقد ادعى غلطاً، ورام شططاً، وخالف صريح العقل، وصحيح النقل وخالف صريح العقل وصحيح النقل ولذا استدل الإمام الشافعي بالآية على عدم نجاسة الآدمي بالموت وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ على أكباد رطبة وأعواد يابسة من الدواب والسفن فهو من حملته على كذا إذا أعطيته ما يركبه ويحمله فالمحمول عليه مقدر بقرينة المقام وقيل: المراد من حملهم في البر والبحر جعلهم قارين فيهما بأن لم يخسف بهم الأرض ولم يغرقهم بالماء، والأول انسب بالتكريم إذ لا يثبت لشيء من الحيوانات سواهم بخلاف الثاني وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ أي فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم من المأكولات والملبوسات والمفروشات والمقتنيات وغير ذلك وَفَضَّلْناهُمْ قيل: أي بالتكريم المذكور عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا عظيما، والمراد أن ذلك مخصوص بهم بالنسبة إلى الكثير فلم يكرم الكثير كما كرموا. (الآلوسي،(ب،ت)،٨/ ١١٢) وهذا من كرمه عليهم وإحسانه، الذي لا يقادر قدره، حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام؛ فكرمهم بالعلم والعقل، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة". فهذه الآية تفيد تكريم الإنسان مطلقاً، البرُّ والفاجر، والمطيع والعاصي.

المطلب الاول: تكريمه بتحسين خلقه.

قال تعالى: (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (التغابن، آية ٣:)، جاء في التفسير، (القشيري، (ب، ت) ٣ /٣١٤). خلق العرش والكرسيّ والسماوات والأرضين وجميع المخلوقات ولم يقل هذا الخطاب، وإنما قال لنا: خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (التغابن، آية ٣:)ولمّا انتهى إلينا قال ذلك، وقال: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (التين، آية ٤:). فنسب الفعل إلى ذاته في مقام المدح. (السامرائي، ٢٠٠٣ م، ص:١٥٤). وقال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلملائكة اسجدوا لأَدَمَ)(الأعراف ، آية ١١:). .

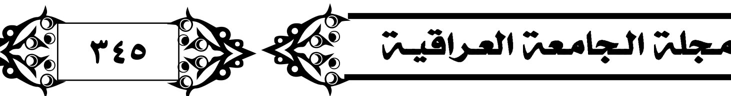


قال الطبري: معنى ذلك: لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها؛ لأن قوله: (أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) إنما هو نعت لمحذوف، وهو في تقويم أحسن تقويم، فكأنه قيل: لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم. (الطبري، (ب، ت) ، ٢٤ / ٥٠٨)فخلق الله تعالى الانسان في هيئة وهي أفضال من الله ونعمه لا تعد ولا تحصى على الإنسان تبدأ من تسويته وخلقته على الصورة التي هو عليها في أتم كمالها وبهائها.(ابن جزي ، (ب،ت)، ٢ /٣٨٠) ، صورة تليق بآدميته وبالتكريم الذي حظي به من خالقه، صورة في أبهى وأجمل هيئة وأحسن خلق، لقد خلقه الله من طين وتدرج في التكوين من نطفة فعلقة ثم مضغة، لتتحول المضغة إلى عظام ثم تكسى لحما، هكذا تستوي صورة الإنسان في أتم خلق بجميع أعضائه وحواسه وعقله، وبهذا الاكتمال يكون قادرا على أداء ما يطلب من عبادات وأعمال صالحة، (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)(المؤمنون آية :١٢-١٤)وكل ما في هذا الوجود أحسن خلقه وأبدعه بالصورة التي أرادها لمخلوقاته (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)(السجدة ،آية :٦) ومعنى حسن خلقه تعالى إتقانه وإحكامه.(الألوسي ،٩ /٢١٨)فإن الإنسان حينما ينظر في تركيب أعضائه الظاهرة والباطنة يشعر بهذه النعمة العظيمة والتكريم الذي خصه به خالقه، فلولا تلك النعمة لما استطاع القيام بالأعمال التي يمارسها بسهولة في حياته، فهو يسخّر الأشياء الكبيرة والصغيرة لخدمته ويتفنن في تطويرالصناعة والزراعة وشق الطرق، وتخطيط المدن وجلب كل ما يحتاجه، ألا يشعر هذا المخلوق بأن هذا تكريم من خالقه وتفضيل له على مخلوقات كثيرة لا تستطيع فعل ذلك، إن ما وهبه الله من تناسب تام في الأعضاء والحواس وفي القدرات العقلية والنفسية هو الذي مكّنه من فعل كل ذلك بسهولة(الحجازي، ١٤١٣ هـ، ٣ /٦٨٤). (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ)(المؤمنون آية :٩) فهذه النعم خلق الإنسان في أحسن تقويم وخلق الأسماع والأبصار والأفئدة كلها لتكون وسائل للإدراك، وتعليم الإنسان البيان.

المطلب الثاني: تكريمه بالعقل.

العقل في اللغة يطلق على المنع والحبس. ووجه تسمية العقل بهذا الاسم: كونه يمنع صاحبه عن التورط في المهالك، ويحبسه عن ذميم القول والفعل، والعقل هو الفهم والبيان؛ لأنه عن العقل كان، فيقول الرجل للرجل: أعقلت ما رأيت، أو سمعت؟ فيقول: نعم، يعني: أني قد فهمت، وتبينت. والعرب إنما سمت الفهم عقلا؛ لأن ما فهمته فقد قيدته بعقلك، وضبطته فما سمي العقل عقلا إلا لأنه يمسك ما علمه، ويضبطه، ويفهمه؛ فيقال: عقل الشيء، إذا فهمه، فهو عقول وعقل الشيء، إذا علمه، أو علم صفاته؛ من حسن وقبح، وكمال ونقصان، فأمسكها، وأمكن أن يميز بين القبيح والحسن، والخير والشر. (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ٢ / ٦١٦) فالعاقل خلاف الجاهل؛ يحبس نفسه، ويمنعها عما يوبقها، ويردها عن هواها، ويمسك ما يعلمه، ويميز بين ما ينفعه وما يضره، في عاجله وآجله (الزبيدي ،٣٠ / ١٨) والعقل في الاصطلاح: هو الغريزة التي في الإنسان، والتي يمتاز بها عن سائر الحيوان؛ فبها يعلم، وبها يعقل، وبها يميز، وبها يقصد المنافع دون المضار.يقول أبو حامد الغزالي عن هذا المعنى: (الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية)، (الغزالي، (ب، ت) ١/ ٨٠). فالعقل غريزة وضعها الله سبحانه في أكثر خلقه، لم يطلع عليها العباد بعضهم من بعض، ولا اطلعوا عليها من أنفسهم برؤية، ولا بحس، ولا ذوق، ولا طعم. وإنما عرفهم الله سبحانه وتعالى إياه بالعقل منهم؛ فبذلك العقل عرفوه، وشهدوا عليه بالعقل الذي عرفوه به من أنفسهم، بمعرفة ما ينفعهم، ومعرفة ما يضرهم يقول ابن تيمية: (فالمجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس، ولا بين أيام الأسبوع، ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل. أما من فهم الكلام، وميز بين ما ينفعه وما يضره، فهو عاقل) ، (ابن تيمية، (ب، ت)، ٩ /٢٨٧) ويقول (العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، ولكنه ليس مستقلا بذلك، لكنه غريزة في النفس، وقوه فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين). ((ابن تيمية، (ب، ت)، ٣ /٣٣٨)يقول الماوردي في قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) (الحج، آية :٤٦). هذا يدل على أمرين: على أن العقل علم، ويدل على أن محله القلب.

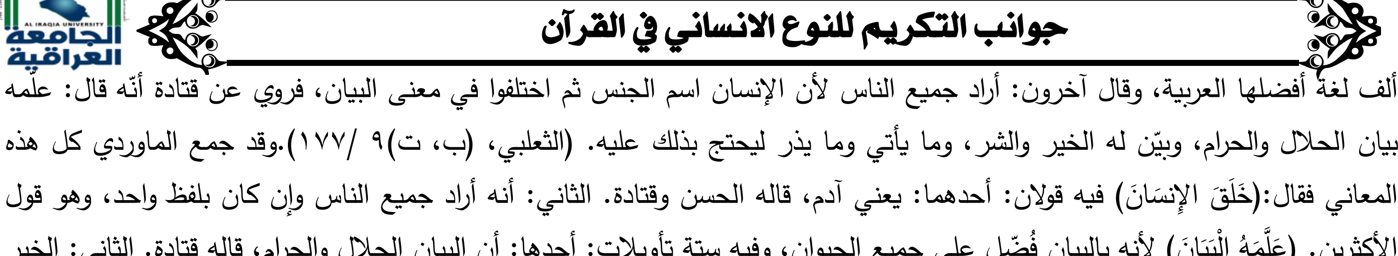
وفي قوله: (يَعْقِلُونَ بِهَا) وجهان: أحدهما: يعملون بها، لأن الأعين تبصر والقلوب تصير. (الماوردي، ب، ت) ،٤ /٣٢)فالعمل من لوازم العقل؛ لأن صاحب العقل إذا لم يعمل بعلمه، قيل: إنه لا عقل له؛ فإن العقل مستلزم لعلوم ضرورية يقينية، وأعظمها: الإقرار بالخالق يقول التستري (اعلم أن الله تعالى لما أراد إظهار علمه أودع علمه العقل، وحكم أنه لا يصل أحد إلى شيء منه إلا بالعقل، فمن فاته العقل فقد فاته العلم. (التُستري، ١٤٢٣ هـ ،١ /٩٠)قال ابن عباس: أساس الدين بني على العقل وفرضت الفرائض على العقل، وربّنا يعرف بالعقل ويتوسل إليه بالعقل، والعاقل أقرب إلى ربه من جميع المجتهدين بغير عقل، ولمثقال ذرّة من [بر] العاقل أفضل من جهاد الجاهل ألف عام. (الثعلبي ،(ب،ت) ٣ /٣٣٤)وفي تكريم الانسان بالعقل قال تعالى في أول الآية: (ولقد كرمنا بنى آدم)، وقال في آخرها: (وفضلناهم على كثير ممن



خلقنا تفضيلا)، ولا بد من فرق بين هذا (التكريم) و(التفضيل)، وإلا لزم التكرار. وقد أجاب الرازي عن هذا، فقال: "الأقرب أن يقال: إنه تعالى فضل الإنسان على سائر الحيوانات بأمور خَلْقِيَّة طبيعية ذاتية، مثل: العقل، والنطق، والخط، والصورة الحسنة، والقامة المديدة، ثم إنه تعالى عرَّضه بواسطة ذلك العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقة، والأخلاق الفاضلة، فالأول هو التكريم، والثاني هو التفضيل"قال ابن عاشور: "الفرق بين التفضيل والتكريم بالعموم والخصوص؛ فالتكريم منظور فيه إلى تكريمه في ذاته، والتفضيل منظور فيه إلى تشريفه فوق غيره، على أنه فضله بالعقل الذي به استصلاح شؤونه، ودفع الأضرار عنه، وبأنواع المعارف والعلوم، (ابن عاشور، ١٥ /١٦٦ فالعقل محور التكليف وأساس التكريم وهذا ما دلت عليه الآيات الكريمة والتي تتحدث في عشرات المواضع عن العقل والحفاظ على العقل من كل ما يحجبه عن دوره الأساسي، قال تعالى:" أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت , وإلى الجبال كيف نصبت , وإلى الأرض كيف سطحت "وكم تكرر في القرآن (لعلكم تعقلون وفي هذا يقول الشاطبي . رحمه الله . " إن مورد التكليف هو العقل وذلك ثابت قطعا بالاستقراء التام حتى إذا فقد ارتفع التكليف رأسا وعد فاقده كالبهيمة المهملة"(الشاطبي، ١٩٩٧م، ٢٠٩/٣) بل أن ترك حرية الاختيار لهذا الانسان إحدى جزئيات التكريم , لدرجة ان ترك له حرية اختيار الكفر على أنوار الإيمان قال تعالى :" فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " على ان يتحمل الإنسان نتائج اختياره في الدنيا والآخرة , فاعتبار حق التدين، أو حرية الاعتقاد، من أهم مفهوم الانسانية ؛ لأن الدين أحد الضروريات الخمس، ، وحق التدين، ليحيا الإنسان الحياة الكريمة العزيزة، منسجمًا مع معتقده ودينه، وخاصة إذا كان الدين هو الحق الثابت، المنزل من الله تعالى، المحفوظ من التحريف والتبديل، المنسجم مع الفطرةِ والواقع، والتصور الصحيح عن الكون والحياة والإنسان فالعقل نعمة عظيمة امتن الله بها على بني آدم وميزهم بها على سائر المخلوقات غير أن هذا التكريم لا يتحقق إلا إذا كان العقل مهتديا بوحي الله محكوما بشرع الله وبذلك ينجو صاحبه من الضلال ويهتدي إلى الحق كما قال تعالى:(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ). (آل عمران، آية :١٠١) أما إذا كان العقل مقدما على وحي الله حاكما على شرع الله فقد ضل صاحبه سواء السبيل كما قال تعالى:(فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ). (القصص، آية :٥٠).

المطلب الثالث: تكريمه بالبيان.

من مظاهر تكريم الله للانسان تكريمه بملكة البيان التي يستطيع بواسطتها التعبير عما يريد وما يختلج في نفسه من معان وعواطف ومشاعر، وهي ميزة فريدة للإنسان من بين سائر المخلوقات.قال تعالى (الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (الرحمن، آية :١-٤) قال الرازي في تميز الانسان في هذا البيان: قال: قوله تعالى: (خلق الإنسان علمه البيان)، قال: ولم يقل وعلمه البيان (بالعطف) لأنه لو عطفه عليه لكان مغايرا له، أما إذا ترك الحرف العاطف صار قوله: علمه البيان كالتفسير لقوله: خلق الإنسان كأنه إنما يكون خالقا للإنسان إذا علمه البيان.(الرازي ،١٤٢٠هـ، ٢٢ / ٤٢)وقال في موضع آخر: فإن المراد من قوله علم القرآن هو أنه علم الإنسان القرآن، وحذفه لعظم نعمة التعليم وقدم ذكره على من علمه وعلى بيان خلقه، ثم فصل بيان كيفية تعليم القرآن، فقال: خلق الإنسان علمه البيان . (الرازي ، ١٤٢٠هـ، ٢٩ / ٣٨) قال ابن عاشور: علمه البيان قال خبر ثالث تضمن الاعتبار بنعمة الإبانة عن المراد والامتنان بها بعد الامتنان بنعمة الإيجاد، أي علم جنس الإنسان أن يبين عما في نفسه ليفيده غيره ويستفيد هو، ثم قال والبيان: الإعراب عما في الضمير من المقاصد والأغراض وهو النطق وبه تميز الإنسان عن بقية أنواع الحيوان فهو من أعظم النعم، وأما البيان بغير النطق من إشارة وإيماء ولمح النظر فهو أيضا من مميزات الإنسان وإن كان دون بيان النطق. ومعنى تعليم الله الإنسان البيان: أنه خلق فيه الاستعداد لعلم ذلك وألهمه وضع اللغة للتعارف، وقد تقدم عند قوله تعالى: وعلم آدم الأسماء كلها في سورة البقرة ثم قال وفيه الإشارة إلى أن نعمة البيان أجل النعم على الإنسان، فعد نعمة التكاليف الدينية وفيه تنويه بالعلوم الزائدة في بيان الإنسان وهي خصائص اللغة وآدابها. ومجيء المسند فعلا بعد المسند إليه لإفادة تقوي الحكم. وفيه من التبكيت ما علمته آنفا، ووجهه أنهم لم يشكروه على نعمة البيان إذ صرفوا جزءا كبيرا من بيانهم فيما يلهيهم عن إفراد الله بالعبادة وفيما ينازعون به من يدعوهم إلى الهدى. (ابن عاشور، ٢٧ / ٢٣٣)وقد اختلف المفسرين في معنى البيان فقال الطبري: اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالبيان في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى به بيان الحلال والحرام. وقال آخرون: عنى به الكلام: أي أن الله عزّ وجلّ علم الإنسان البيان (الطبري، ٢٢/٨)وقال الزجاج: معنى عَلَّمَهُ البَيَانَ. علمه القرآن الذي فيه بيان كل شيء. وقيل الإنسان ههنا آدم –صلى الله عليه وسلم ، ثم قال ويجوز في اللغة أن يكون الإِنسان اسماً لجنس الناس جميعاً، ويكون على هذا المعنى عَلَّمَه البَيانَ جعله مميزاً حتى انفصل الإِنسان من جميع الحيوان(الزجاج (ب،ت) ٩٥/٥)وقال الثعلبي: عَلَّمَهُ الْبَيانَ أسماء كل شيء، وقيل: علّمه اللغات كلّها، وكان آدم عليه السّلام يتكلم بسبعمائة

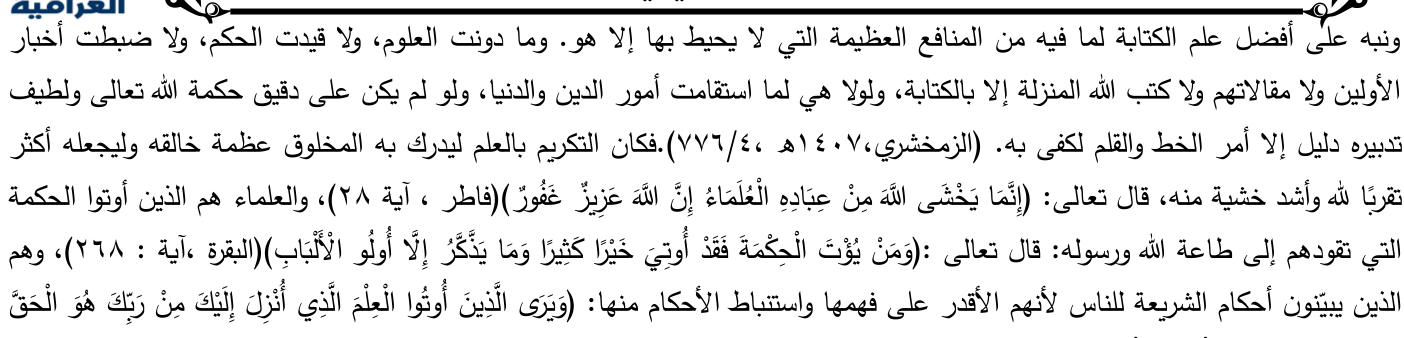


ألف لغة أفضلها العربية، وقال آخرون: أراد جميع الناس لأن الإنسان اسم الجنس ثم اختلفوا في معنى البيان، فروي عن قتادة أنّه قال: علمه بيان الحلال والحرام، وبيّن له الخير والشر، وما يأتي وما يذر ليحتج بذلك عليه. (الثعلبي، (ب، ت)٩ /١٧٧).وقد جمع الماوردي كل هذه المعاني فقال:(خَلَقَ الإِنسَانَ) فيه قولان: أحدهما: يعني آدم، قاله الحسن وقتادة. الثاني: أنه أراد جميع الناس وإن كان بلفظ واحد، وهو قول الأكثرين. (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) لأنه بالبيان فُضِّل على جميع الحيوان، وفيه ستة تأويلات: أحدها: أن البيان الحلال والحرام، قاله قتادة. الثاني: الخير والشر، قاله الضحاك، والربيع بن أنس. الثالث: المنطق والكلام، قاله الحسن. الرابع: الخط، وهو مأثور. الخامس: الهداية، قاله ابن جريج. السادس: العقل لأن بيان اللسان مترجم عنه. ويحتمل سابعاً: أن يكون البيان ما اشتمل على أمرين: إبانة ما في نفسه ومعرفة ما بين له. وقول: خلق الإنسان جاهلاً به، فعلمه السبيل إليه. (الماوردي، ٥ /٤٢٣)يقول صاحب روح المعاني والمراد بالإنسان الجنس وبخلقه إنشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة، قال ثم أتبع عز وجل ذلك بنعمة تعليم الْبَيانَ فقال سبحانه: عَلَّمَهُ الْبَيانَ لأن البيان هو الذي به يتمكن عادة من تعلم القرآن وتعليمه، والمراد به المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير وأن قوله تعالى: خَلَقَ الْإِنْسانَ تعيين للمتعلم، وقوله سبحانه: عَلَّمَهُ الْبَيانَ تبيين لكيفية التعليم، والمراد بتعليم البيان تمكين الإنسان من بيان نفسه، ومن فهم بيان غيره إذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن. (الالوسي ،١٤/٩٩) والحق ان البيان ميزةٌ يمتاز بها الإنسان، وتكريمٌ كرم الله به الإنسان، فجاء تكريم الانسان بالبيان بعد تعليمه القرآن وخلقه الانسان ليبين لنا حياة الإنسان وخلق الانسان لا معنى لها، ولا جدوى منها من دون بيان، فكرمه بالبيان؟ ليتعلَّم القرآن، وليعرف الحلال من الحرام وليهتدي إلى الخالق. وليعرفوا كيفية مخاطبة مولاهم. (القشيري ،٥٠٣/٣) وعليه يكون معنى البيان المنطق، فعلمه الله تعالى ما ينطق به ويفهم غيره ما عنده، فإن به يمتاز الإنسان عن غيره من الحيوانات، والبيان إشارة إلى تميزه بالعلم عن غيره.والبيان: هو القرآن وإطلاق البيان بمعنى القرآن على القرآن في القرآن كثير، قال تعالى: (هذا بيان للناس). (آل عمران، آية :١٣٨٥). وقد سمى الله تعالى القرآن فرقانا وبيانا، والبيان فرقان بين الحق والباطل، فصح إطلاق البيان، وإرادة القرآن والحق أن بيان القرآن هو أشرف بيان وأهداه، وأكمله وأعلاه، وأبلغه وأسناه.

المطلب الرابع: تكريم الله للإنسان بالعلم:

إن مما اختص الله به الإنسان من سائر المخلوقات تزويده بالعلم والمعرفة ومما يدلل على إن ملائكة الله المقربين لم يحظوا بما حظي به آدم عليه السلام ما أخبرنا به الحق .قال تعالى : (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إن كُنتُمْ صَادِقِينَ(٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(٣٢)قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)(البقرة (آية :٣١-٣٣)فكان العلم والمعرفة التي تلقاها آدم زيادة كبيرة في فضله وإضافة عظيمة في مكانته، خوله هذا العلم وتلك المعرفة إلى سجود الملائكة له سجود طاعة لله إذ أسجد الله لآدمَ ملائكته سجود تكريم (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم). و قال تعالى: (الرحمن) (علم القرآن) (خلق الإنسان) (علمه البيان) و قال تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) –إلى قوله –(ما لم يعلم) فهداه إلى أنواع من العلم يمكنه أن يتوصل بها إلى سعادة الدنيا والآخرة، وجعل في فطرته محبة لذلك.حيث كان أول ما أنزل الله على نبيه (اقرأ باسم ربك الذي خلق) إلى قوله: (ما لم يعلم).فبين سبحانه في أول ما أنزله أنه سبحانه هو الخالق الهادي الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى .... فالخلق يتناول كل ما سواه من المخلوقات ثم خص الإنسان فقال: (خلق الإنسان من علق). ثم ذكر أنه علم؛ فإن الهدى والتعليم هو كمال المخلوقات. (ابن تيمية، ١١١/١٢).فمعنى قوله عزّ وجلّ: (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) أي: علم الإنسان الكتابة بالقلم عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ من الخط (ابن الجوزي ،٤ /٤٦٦)حيث جاء قوله: (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم) بعد قوله: (خلق الإنسان من علق)، فكان وجه المناسبة في ذلك أنه تعالى ذكر أول حال الإنسان وهو كونه علقة. مع أنها أخس الأشياء وآخر حاله وهي صيرورته عالما وهو أجل المراتب كأنه تعالى قال كنت أنت في أول حالك في تلك الدرجة التي هي غاية الخساسة فصرت في آخر حالك في هذه الدرجة التي هي الغاية في الشرف، كما أن ترتيب الحكم على الوصف مشعر بكون الوصف علة فهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى إنما استحق الوصف بالأكرمية لأنه أعطى العلم فكانت أفادة العلم أشرف من إفادة غيره. (الرازي ، ١٤٢٠هـ،٤٠٦/٢).وقد اشار الزمخشري الى معنى ذلك فقال: ويجوز أن يراد الذي خلق الإنسان، كما قال: الرحمن علم القرآن خلق الإنسان فخلق الإنسان مبهما، ثم فسره بقوله: خلق تفخيما لخلق الإنسان ودلالة على عجيب فطرته، ...ثم قال: والإنسان هنا اسم جنس، والعلق جمع علقة، فلذلك جاء من علق، وإنما ذكر من خلق من علق لأنهم مقرون به، ولم يذكر أصلهم آدم، لأنه ليس متقررا عند الكفار فيسبق الفرع، وترك أصل الخلقة تقريبا لأفهامهم.والأكرم صفة تدل على المبالغة في الكرم، إذ كرمه يزيد على كل كرم ينعم بالنعم التي لا تحصى، ويحلم على الجاني، ويقبل التوبة، ويتجاوز عن السيئة. وليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال: الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم،





ونبه على أفضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو. وما دونت العلوم، ولا قيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين ولا مقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره دليل إلا أمر الخط والقلم لكفى به. (الزمخشري،١٤٠٧هـ ،٧٧٦/٤).فكان التكريم بالعلم ليدرك به المخلوق عظمة خالقه وليجعله أكثر تقربًا لله وأشد خشية منه، قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)(فاطر ، آية ٢٨)، والعلماء هم الذين أوتوا الحكمة التي تقودهم إلى طاعة الله ورسوله: قال تعالى :(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)(البقرة ،آية : ٢٦٨)، وهم الذين يبيّنون أحكام الشريعة للناس لأنهم الأقدر على فهمها واستنباط الأحكام منها: (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)(سبأ ، آية : ٦).

المطلب الخامس: تكريم الانسان بالنعم الظاهرة.

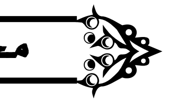
بعد أن بين الله تعالى عموم فضله وكثرة نعمه على الانسان فأكرمه الله بالنعم العظيمة التي لا تعد ولا تحصى، في قوله تعالى: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (إبراهيم، آية: ٣٤) وقوله تعالى (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) (النحل، آية :١٨)بين أن هذه النعم لا تُحْصُوها ولا تضبطوا عددها ولا تبلغها طاقتكم، فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر، أتبع ذلك ما عدّد من نعمه تنبيهاً على أنّ وراءها ما لا ينحصر ولا ينعدّ (إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم، ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَما تُعْلِنُونَ من أعمالكم، وهو وعيد. (الزمخشري،١٤٠٧هـ، ٢ /٦٠٠)يقول ابو السعود: أن هذا التكريم بالنعم هو للكافر والمؤمن على حد سواء، فقوله: (إِنَّ الله لَغَفُورٌ)، بمعنى يستُر ما فرَط منكُم من كفرانها والإخلالِ بالقيام بحقوقها ولا يعاجلُكم بالعقوبة على ذلك (رَّحِيمٌ)، حيث يُفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحِرمان بما تأتون وتذرون من أصناف الكفرِ التي من جملتها عدمُ الفرق بين الخالقِ وغيرِه وكلٌّ من ذلك نعمةٌ وأيُّما نعمة فالجملة تعليلٌ للحكم بعدم الإحصاءِ وتقديمُ وصفِ المغفرة على نعت الرحمةِ لتقدم التخلية على التحلية. (أبو السعود،(ب،ت)، ٥ /١٠٥)وفيه إشارةٍ إلى أن الله تعالى لو عامل المنعَم عليهم من الخَلْق بما يقتضيه إيمانهم، وما يقتضيه كفرهم، لأعطى المؤمن وسلَبَ الكافر، لكنه سبحانه، غفور رحيم بخَلْقه كريم، فبهاتين الصفتين يُنعِم سبحانه على الجميع. ففي الآية الأولى، يقول الله تعالى للإنسان: إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها فحصل لك عند أخذها وصفان: كونك ظلوما وكونك كفارا. وفي الآية الثانية، يقول الحق سبحانه للإنسان: ولي عند إعطاء النعمة لك وصفان وهما أني: غفور رحيم، أقابل ظلمك بغفراني وكفرك برحمتي (الرازي ، ١٤٢٠، ١٠٠/١٩) وأعظم نعمة أكرم الله بها عباده نعمة الاسلام قال تعالى: (وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) أي بذلك الإكمال لأنه لا نعمة أتم من نعمة الإسلام، فأصول هذه النعم أولها الإسلام: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا، ويدخل فيها نعم التشريع والتخفيف، عما كان على الأمم لماضية ((الشنقيطي ، ١٩٩٥ مـ ،٩ / ٨٣)لذلك جاء الخطاب بدخول الاسلام والتزام شرائعة وتبليغه فقال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ). (البقرة، آية ٢٠٨) وهذا النداء بالمؤمنين هو نداء تكريم وتشريفٌ للمؤمنين بأنْ يعمَلوا بجميع شرائعِ الإسلام.اختلف المفسرون في معنى «السلم»قال الأخفش قال (ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً) و"السِّلْمُ": الإسْلامُ.وجاء: (ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً) الإسلام. وتُقرأ في السَّلم بفتح السين أيضا وأصل السِّلْم والسَّلْم الصلح. فإذا نصبت اللام فهو الاستسلام والانقياد. قال: (وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ) أي: استسلم وانقاد، فقوله :(وَتَدْعُواْ إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ) ذلك: الصُلْح. وقد قال بعضهم في "الصلح": "السِّلم. وقال (وَيُلْقَواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ) وهو الاستسلام. وقال (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً) أي: قالوا "بَراءَةً مِنْكُم"(الاخفش، ١٩٩٠ م. ١ / ١٨١).كما اختلفوا في الفتح والكسر، على وجهين: أحدهما: أنهما لغتان تستعمل كل واحدة منهما في موضع الأخرى. والثاني: معناهما مختلف، والفرق بينهما أن السِّلم بالكسر الإسلام، والسَّلم بالفتح المسالمة، من قوله تعالى: (وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا)(الانفال ، آية :٦١) ، وفي المراد بالدخول في السلم , تأويلان: أحدهما: الدخول في الإسلام , وهو قول ابن عباس رضي الله عنه , ومجاهد , والضحاك. والثاني: معناه ادخلوا في الطاعة، وهو قول الربيع، وقتادة (القرطبي، (ب، ت) ٢٢/٣). فأما الذين فتحوا «السين» من «السلم»، فإنهم وجهوا تأويلها إلى المسالمة، بمعنى: ادخلوا في الصلح والمساومة وترك الحرب وإعطاء الجزية .(الطبري، ٢٥١/٤) . وأما الذين قرءوا ذلك بالكسر من «السين» فإنهم مختلفون في تأويله.فمنهم من يوجهه إلى الإسلام، بمعنى ادخلوا في الإسلام كافة، ومنهم من يوجّهه إلى الصلح، بمعنى: ادخلوا في الصلح.قال الازهري: قال أبو منصور: وأخبرني المنذري عن أحمد بن يحيى أنه قال: كان أبو عمرو يكسر التي في البقرة، ويذهب بمعناها إلى الإسلام، ويفتح اللتين في الأنفال وسور محمد، ويتأول فيهما المُسالمة.قال أبو العباس: والقراءة التي اجتمع عليها أهل الحرمَين بالفتح في كله، لأنها أعَربُ اللغتين وأعلاهما.

أ خبرني المنذري عن الحرلم ني عن ابن السكيت إنه قال: السَّلم: الصُّلحُ.
ويقال: سَلم. وأخبرني ابن فَهْم عن محمد بن سلام عن يُونُس قال: السَّلم: الإسلام، وأما الصُّلح فيجوز فيه سَلم وسِلم. (الأزهري، ١٩٨/١) قال الطبري: وأولى التأويلات بقوله: «ادخلوا في السلم»، قول من قال: معناه: ادخلوا في الإسلام كافة يقول محمد رضا: بعد ما بين عز وجل اختلاف الناس في الصلاح والفساد والإصلاح والإفساد أراد أن يهدينا إلى ما يجمع البشر كافة على الصلاح والسلام، والوفاق الذي قرره الإسلام، وهو ما يقتضيه الإيمان بالله واليوم الآخر، وجعل هذه الهداية بصيغة الأمر، وشرف أهل الإيمان به فقال: (يأأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) إلخ. السلم المسالمة والانقياد والتسليم، فيطلق على الصلح والسلام، وعلى دين الإسلام ا لأمر على الدخول في الإسلام. (رضا، ١٩٩٠ م، ٢ /٢٠٥). وقد يقال إن المخاطبين بذلك مؤمنون، فكيف يقال للمؤمن آمن، أو للمسلم أسلم؟ قال الشوكاني: ذكر الله سبحانه أن الناس ينقسمون إلى ثلاث طوائف: مؤمنين، وكافرين، ومنافقين، أمرهم بعد ذلك بالكون على ملة واحدة. وإنما أطلق على الثلاث الطوائف لفظ الإيمان، لأن أهل الكتاب مؤمنون بنبيهم وكتابهم، والمنافق مؤمن بلسانه وإن كان غير مؤمن بقلبه(الشوكاني ،(ب،ت)، ٢٤١/١).الذي يظهر إن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق، وإيثار الحق، وهذا حقيقة الفطرة.ومن خرج عن هذا الأصل، فَلِعَارِض عَرَض لفطرته وأفسدها، والإسلام رسالة الله للعالمين، ضمت شريعته الكثير من الأوامر والنواهي؛ لإرساء مبدأ الثواب والعقاب وهو المبدأ الذي لا تستقيم حياة الشعوب والأمم إلا به، وقد يقال: إن الثواب والعقاب موجود في كل ملة وشريعة، وقانون وضعي، نقول: هذا صحيح، ولكن في الإسلام بسماحته وسموه وعدله ومنهجه الرباني الذي حفظه الله من التبديل والتحريف، فيه سعادة البشرية ورقيُّها، كما سوف يتبين لكل منصف في هذه الدراسة، والله المستعان، وعليه التكلان. إذًا مبدأ الثواب والعقاب في ديننا الإسلامي، شُرِع لتحسين أخلاق البشر، وإن طُبق على كل إنسان، لاستقام حال البشرية جمعاء.

المطلب السادس: تكريم الانسان بإرسال الرسل:

أن الله تعالى جعل الإنسان خليفته على الأرض، وبذلك امتاز الإنسان على بقية المخلوقات بهذا التكريم. قال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُون) (البقرة، آية :٣٠) دلت هذه الآيات على تكريم الإنسان الذي جعله الله خليفة في هذه الأرض في تنفيذ أوامره بين الناس، ثم قال تعالى في ارسال الرسل في قوله تعالى: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) (ص، أية ٢٦) قال الماوردي فيها وجهان: أحدهما: خليفة لله تعالى وتكون الخلافة هي النبوة. الثاني: خليفة لمن تقدمك لأن الباقي خليفة الماضي وتكون الخلافة هي الملك (الماوردي، (ب، ت)٥/٩٠). والحكمة من جعل آدم خليفة هي الرحمة بالناس، إذ لا طاقة للعباد على تلقي الأوامر والنواهي من الله بلا واسطة، فكان من رحمته تعالى إرسال الرسل من البشرفأرسل الله آدم عليه السلام بالتوحيد، وغرس المعتقدات الدينية في بنيه، وأقام الله الأدلة الكثيرة الدالة على الإله الصانع. ثم تجدد ذلك على يد نوح عليه السلام، بعد غرق الكفار، ثم تتابع الرسل الكرام إلى خاتم النبيين بالدعوة إلى توحيد الله وطاعته، وتجنب الشرك ومعصية الله فإرسال الرسل من نعم الله على الإنسان ، ومظهر من مظاهر تكريمه وتفضيله، بان ارسل الله لهم الرسل على فترة من الزمن مبشرين ومنذرين ،ليحملوا لهم شريعة الله وقوانينه التي ينبغي أن يلتزموا بها ليسعدوا في دنياهم وأخراهم، لان الإنسان برغم ملكته العقلية لا يستطيع أن يتوصّل بمفرده لمعرفة الغيبيات والحقائق التي فوق قدراته العقلية، ولا يمكنه أن يضع شرائع وقوانين مضبوطة تنظم العلاقات والسلوك والمعاملات التي تحفظ حقوق الأفراد والجماعات، فالقوانين الوضعية هي اجتهادات بشرية قد يصيب فيها واضعها أو يخطئ، أو قد تضعها جهة تريد المصلحة لنفسها أو عشيرتها، فارسال الرسل رحمة للناس كافّة ونعمة اكرمهم الله بها، لتعصمهم جميعا من الخطأ وتبيّن لهم الأحكام الصائبة وتساوي بينهم، فلا يفضل أحدهم على الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح .(ابن تيمية، النبوات، ٢٠٠٠م ، ١ / ٣٣)فاعتبار الإنسان هو محور الرسالات السماوية يعد هذا أعظم نعمة وتكريم امتن الله بها على الانسان قال تعالى: (وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) (النساء، آية :١١٣). فالمصدر الأول للعلم، ما كان مصدره الحق عن طريق الوحي إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام (ابن تيمية، المجموع، ٣٦٦/٣)، فإن البشر لا يمكن أن يتلقوا عن الله مباشرة، قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ). (الشورى، آية: ٥١ لذا اصطفى الله عز وجل خيرة خلقه من الرسل والأنبياء ليكونوا خير سفراء بين الله وعباده، قال تعالى: (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ). (الحج، آية: ٧٥).

المطلب السابع: تكريم الانسان بالعبادة.




يقول ابن عاشور: الغاية من العبادة تعظيم أمر الله والشفقة على الخلق، وهذا المعنى هو الذي اتفقت عليه الشرائع وإن اختلفوا في الوضع والهيئة والقلة والكثرة). (ابن عاشور، ١ /١٨٠ خلق الله تبارك وتعالى هذا المخلوق الكريم، خلقه للعبادة، كما قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات، آية :٥٧) وهي إرادة الله تعالى في عمل الإنسان كافة بل الله تعالى حين تكلم عن الإنسان قال: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) (التين، آية :٤-٦)وقال تعالى :(أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (الحج، آية :١٨)يقول الزمخشري: ومن أهانه الله–بأن كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره أو فسقه–فقد بقي مهانا÷، لن تجد له مكرما. وقرئ: مكرم، بفتح الراء بمعنى الإكرام.أي إنه يَفْعَلُ ما يَشاءُ من الإكرام والإهانة، ولا يشاء من ذلك إلا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين. (الزمخشري،١٤٠٧هـ، ١٤٩/٣) فبين الله تعالى أن الإنسان إذا انحرف وضل، تحول من كونه إنساناً مكرماً عزيزاً إلى كونه أحط حتى من البهائم كما قال الله عز وجل: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ). (الاعراف، آية :١٧٩)وهذا الحكم من أعدل الأحكام، ذلك أن الله جل وعلا خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه، ويمتثلوا أوامره ويجتنبوا نواهيه، كما قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (الذاريات، آية :٥٦). وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة.كما قال تعالى: (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)(إبراهيم ، آية :٣٤)، وفي الآية الأخرى في «سورة النحل» (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (النحل ،آية :١٨) ، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ليشكروه ; كما قال تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(النحل ،آية ٧٨) ، فالتمرد على طاعة الله، واستعمال جميع المواهب التي أنعم عليهم بها في عدم طاعته ،يستوجب وضعهم من مقام الإنسانية إلى مقام أسفل منه كمقام الحيوانات يقول الرازي: مشيرا الى تكريم الله تعالى للإنسان بالعبادة، والطاعة وهي مشروطة بالعلم الذي كرمه الله به: قال تعالى (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) (طه، آية :١٤).فبين أنه أمر بالطاعة لغرض العلم والعلم لا بد منه على كل حال فلا بد وأن تكون النفس متمكنة من تحصيل هذه المعارف والعلوم فأعطاه الحق سبحانه من الحواس ما أعان على تحصيل هذا الغرض (الرازي،١٤٢٠هـ، ٤٢٢/٢) وقال في موضع آخر أنه سبحانه إنما خلق الخلق للعبودية، فمن وفى بعهد العبودية في ذلك فالله سبحانه أكرم من ألا يفي بعهد الربوبية في حفظه عن الآفات والمخافات، وإليه الإشارة بقوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) إشارة إلى أنه يوصل إليه كل ما يسره.فالإنسان إذا كان سر تكريمه هو التكليف، ومطالبته بالعبودية، ومنحه هذا العقل، فإذا أهدر هذه الأشياء وضيعها، وأقبل على دنياه ونسي آخرته؛ أصبحت البهائم أعلى منزلة منه، لماذا؟ لأنها لم تكلف بهذه الأشياء، ولذلك يوم القيامة يقال للبهائم: (كوني تراباً) لكن الكافر يتمنى أن يكون كذلك (وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً) .(النبأ، آية ٤٠) فلا يستطيع ذلك ولا يملكه ولا يحصل له(الرازي ، ١٤٢٠، ٣٤٤/٢).

المطلب الثامن: تكريم الانسان بتسخير سائر الخلق له.

ومن المظاهر التكريمية التي ينبغي الوقوف عليها والمنبثقة من تكريم الخالق عز وجل للنفس الإنسانية، أنه قد رزقه القدرة التي يستطيع من خلالها السيطرة على ما حوله من الكائنات، فيدفعه ذلك إلى أن لا يذل نفسه لشيء منها، وهذا التسخير الالهي لينشئ الإنسان على الشعور بالكرامة وعزة النفس، ويشعر في الوقت ذاته بفضل الله تعالى لان التسخير: تسهيل الانتفاع بالشيء بدون مانع وهو يؤذن بصعوبة الانتفاع لولا ذلك التسخير، وهو نوعان تسهيل استخدام الحيوان الداجن من الخيل، والإبل، والبقر، والغنم ونحوها بأن جعل الله فيها طبع الخوف من الإنسان مع تهيئتها للإلف بالإنسان، ثم أطلق على تسهيل الانتفاع بما في طبعه أو في حاله ما يعذر الانتفاع به لولا ما ألهم الله إليه الإنسان من وسائل التغلب عليها بتعرف نواميسه وأحواله وحركاته وأوقات ظهوره، وبالاحتيال على تملكه مثل صيد الوحش ومغاصات اللؤلؤ والمرجان، ومثل آلات الحفر والنقر للمعادن، ومثل التشكيل في صنع الفلك والعجل، ومثل التركيب والتصهير في صنع البواخر والمزجيات والصياغة، ومثل الإرشاد إلى ضبط أحوال المخلوقات العظيمة من الشمس والقمر والكواكب والأنهار والأودية والأنواء والليل والنهار، باعتبار كون تلك الأحوال تظهر على وجه الأرض، وما لا يحصى مما ينتفع به الإنسان مما على الأرض فكل ذلك داخل في معنى التسخير(ابن عاشور، ١ /١٨٠).فالإنسان باعتباره محور التكليف والتكريم فكان لابد بتكريمه رفع منزلتة إلى منزلة لا يوازيها خلق من مخلوقاته _تبارك وتعالى_، حيث يقول ربنا – جل وعز –: " وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُم فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْناهُم مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُم عَلَى كَثِير مِمَّن خَلَقْنا تَفْضِيلاً ". لذلك هيأ الله تعالى للإنسان الكون كله؛ أرضاً وسماء ونباتا وحيوانا وبحارا وأنهارا وهواء، وذلك لخدمته وتسهيل عيشه، وتحقيق الهناء والرخاء

له. (الطبري ، ٢٠/١٤٧)قال تعالى: (هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة، آية ١٢٩)قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (إبراهيم، آية :٣٣-٣٤)وقد جمعت آية الجاثية ما توَّزع فى سُوَرٍ كثيرةٍ مما سخَّره الله للإنسان، فقال تعالى فيها: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الجاثية، آية ١٣) ، وقال تعالى: (يَا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (الأعراف ، ٣١-٣٣)، وقال تعالى: (والأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ)(النحل ،آية :٣)جعل الله تعالى تكريم الانسان بتسخير الكون له بحيث يكون في مقدور الإنسان الانتفاع بشعاع الشمس ونور القمر وهدي النجوم، واستثمار الماء والهواء وما في باطن الأرض من معادن ودفائن. واستخراج ما في البر والبحر وجوف الأرض مما فيه تحقيق رفاه الحياة وزيادة نعيمها، وذلَّل له الحيوان والطير، ومكنه من الحصول على كثير مما تزخر به الأرض من كنوز وخيرات.

فهرس المصادر والمراجع

١. إبراهيم مصطفى / وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة المعجم الوسيط، دار الدعوة، (ب، ت).

٢. ابن الأزرق، محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي (المتوفى: ٨٩٦هـ) بدائع السلك في طبائع الملك ت: د. علي سامي النشار، وزارة الإعلام – العراق، ط: الأولى، (ب، ت).

٣. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الأولى -١٤٢٢ هـ

٤. ابن تيمية، أحمد بن تيمية مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت٧٢٨هـ)، جمع وترتيب الشيخ / عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (ت ١٣٩٢هـ)، وساعده ابنه/ محمد، طبع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.

٥. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد عاشور التونسي (المتوفى ١٣٩٣هـ)، تحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» الدار التونسية للنشر – تونس ،.١٩٨٤ هـ

٦. ابن عطية، عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن (المتوفى ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١-١٤٢٢ هـ،

٧. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، لسان العرب، : دار صادر – بيروت، ط: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٨. أبو البقاء العكبري، عبد الله بن الحسين بن عبد الله (المتوفى: ٦١٦هـ) التبيان في إعراب القرآن، ت: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (ب، ت).

٩. أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى ٩٨٢هـ، تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت. (ب، ت).

١٠.الأحمدي، عبد العزيز بن مبروك، اختلاف الدارين وآثاره في أحكام الشريعة الإسلامية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب رسالة دكتوراة)، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م

١١.الاخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، (المتوفى: ٢١٥هـ) معانى القرآن للأخفش، ت: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط، ١، ١٤١١ هـ -١٩٩٠ م.

١٢.الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت علي عبد الباري عطية، ا دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.

١٣.البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح) ، ،ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، : دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ




١٤.التُستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع (المتوفى: ٢٨٣هـ) تفسير التستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، ت: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى –١٤٢٣ هـ.

١٥.الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد – بيروت، ط١٠ –١٤١٣ هـ

١٦.الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير)، المكتبة العلمية – بيروت. (ب، ت).

١٧.الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (المتوفى: ٦٦٦هـ) مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية –الدار النموذجية، بيروت – صيدا

١٨.الرازي، فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي خطيب الري (المتوفى ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الثالثة – ١٤٢٠ هـ

١٩.رضا، محمد رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى ١٣٥٤هـ)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

٢٠.الزَّبيدي ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من تين، : دار الهداية، (ب، ت).

٢١.الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق (المتوفى: ٣١١هـ) معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب – بيروت ، ط، الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٢٢.الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط للزحيلي، دار الفكر – دمشق، ط ١ –١٤٢٢ هـ

٢٣.الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، ا جار الله (المتوفى ٥٣٨هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي – بيروت، الثالثة – ١٤٠٧ هـ

٢٤.السديري، توفيق بن عبد العزيز، الإسلام والدستور، : وكالة المطبوعات والبحث العلمي وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ

٢٥.الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى ١٣٩٣هـ) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ –١٩٩٥ مـ

٢٦.الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى ١٢٥٠هـ) فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب –دمشق، بيروت

٢٧.الصابوني، محمد علي، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط: السابعة، ١٤٠٢ هـ –١٩٨١ م

٢٨.الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (المتوفى ٣١٠هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، ت أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ط الأولى، ١٤٢٠ هـ –٢٠٠٠ م،

٢٩.العاني عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي (المتوفى: ١٣٩٨هـ) بيان المعاني: مطبعة الترقي – دمشق، ط: الأولى، ١٣٨٢ هـ –١٩٦٥ م

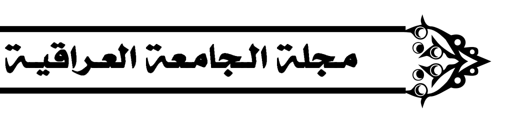
٣٠.الغزالي، ابو حامد الغزالي محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) إحياء علوم الدين، : دار المعرفة – بيروت، (ب، ت).

٣١.فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط: الثالثة، ١٤٢٣ هـ –٢٠٠٣ م

٣٢.الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (المتوفى: ٢٠٧هـ) معاني القرآن ، ت: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي،: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصرط: الأولى

٣٣.الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: ٨١٧هـ) القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ

٣٤.القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (المتوفى ٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ –١٩٦٤ م




٣٥.القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: ٤٦٥هـ) لطائف الإشارات = تفسير القشيري، ت إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط ٣

٣٦.الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ) السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية –بيروت / لبنان، (ب، ت).

٣٧.محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى ٣٧٠هـ)، معاني القراءات للأزهري، مركز البحوث في كلية الآداب –جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٢ هـ –١٩٩١ م

٣٨.محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس – بيروت، ط: السادسة – ١٤٠٧هـ.